

النزاع
والدين

القدس

وثيقة توجيهية 5

النزاع والدين:

كيف تتلاقى القدسية والعلمانية في المدن المتنازع عليها

هذه المنظمات في الحياة المدنية بطرق من شأنها إما تعزيز أنماط النزاع، أو المساعدة في تقليل الانقسام العرقي القومي والفصل بين المجتمعات.

الهيمنة والمقاومة في المواقع المقدسة

الوصف الانتقائي للتاريخ - المستغل في إضفاء الشرعية على الاستيلاء على الأراضي والعنف في المناطق الحضرية - يمكن تعزيزه من خلال وجود أماكن مقدسة وهاكل دينية. ففي القدس، تتمتع الأماكن المقدسة بأهمية دولية وتعتبر محورية إلى حد بعيد فيما يتعلق بالنزاع. وحيث نجت المواقع الإسلامية الرئيسية في المدينة القديمة على نحو جيد نسبياً، فإن الكثير من المواقع اليهودية ليست سوى بقايا أثرية؛ ومن ثم فإن أنماط التعبير أو حتى الاختلاق ترافق استغلالها كأماكن مقدسة. لكن يتم استغلال جميع الأماكن، اليهودية والمسيحية والإسلامية، لخدمة أجندات سياسية وتبرير روايات تاريخية. وتجدر الإشارة إلى إمكانية التلاعب إلى حد بعيد بالمواقع الدينية في النزاعات الحضرية. ففي يوغوسلافيا السابقة، تم قمع التعبير عن الهوية العرقية. وأصبحت المباني الدينية هي المنشآت الوحيدة التي يمكن التعبير فيها عن الهويات المختلفة. وفي فوكوفار، تم استهداف الكنائس الكرواتية وتدميرها من جانب القوات الصربية، وبعد عودة الكروات إلى المدينة، لم تسلم أي منشآت

غالباً ما تشعل القضايا الدينية فتيل النزاعات العاطفية (الانفعالية) في المدن المتنازع عليها. وهي تثري النزاع العرقي - القومي بطرق يمكن أن تكون دقيقة ومعقدة، فيما نتجاهلها غير عابئين بمخاطرها. وغالباً ما تكون الأماكن المقدسة محور هذه النزاعات، حيث يتم استغلالها في إضفاء الشرعية على المطالبات بشأن الأماكن الرئيسية، أو تصبح، بدلاً من ذلك، محور المقاومة للأقليات والفئات المضطهدة. ومع ذلك، تقيّد النتائج التي توصل إليها بحثنا إلى أن النزاع الصريح لا يحدث دائماً في الأماكن المقدسة نفسها، وإنما يمكن نقله بدلاً من ذلك إلى أماكن قريبة قد تكون أقل سيطرة. وهنا، يتفاعل الدين في صور مختلفة مع الممارسات المدنية والثقافية، وقد يُجر السكان العلمانيون أيضاً إلى النزاع.

من غير المفيد الافتراض بأن الدين عنيف في جوهره. وقد توصل بحثنا إلى أن الاضطرابات الدينية تتطوي على مجموعة من العوامل، ومن المهم أن يكون لدى المرء فهم جيد لكيفية ارتباط الدين بمختلف المؤسسات والممارسات المدنية. وفي المدن المتنازع عليها، يندر أن تعمل الجماعات الدينية في فراغ. إذ قد تشكل، أو ترتبط، بمنظمات دولية، وقد تنشط في المدينة ضمن مجموعة متنوعة من المستويات؛ كإنشاء ورعاية المواقع الدينية، أو تنظيم السياحة الدينية، أو توفير الخدمات الاجتماعية. وغالباً ما تندمج

الاستنتاجات الرئيسية للسياسة

- غالباً ما يلجأ الأشخاص إلى الوسائل الدينية للتعبير عن المعارضة السياسية، لاسيما عندما يكون التعبير السياسي مقموعاً.
- بدلاً من النظر إلى الدين كنفيز للحياة العلمانية، يتعين على صانعي السياسة فهم كيفية تفاعل الدين مع مختلف الممارسات المدنية والثقافية.
- غالباً ما تحدث النزاعات الدينية في الفراغات غير الدينية، ويمكن أن تؤثر على المدينة بأكملها. ومن ثم فإنه يتعين على صانعي السياسة ومفاوضي السلام النظر إلى ما هو أبعد من الأماكن المقدسة في سعيهم نحو تسوية النزاعات.
- يمكن للمنظمات الدينية أن تلعب دوراً محورياً في المدن عبر توفير الخدمات الاجتماعية على مختلف المستويات. وقد يكون ذلك بديلاً لما توفره الحكومة، أو إلى جانبه، أو بالتعارض معه.

يمكن النظر إلى المشاركة في الممارسات الدينية واستخدام الأماكن المقدسة على أنها مقاومة وتأكيد للهوية السياسية. ولما كانت سلطات الأمن الإسرائيلية تقيد بشكل منتظم حضور الشبان الفلسطينيين صلاة الجمعة في المسجد الأقصى، فإن من يمكنهم المشاركة لديهم مسوغات لفعل ذلك، فحتى شراء السلع الدينية من أسواق المدينة القديمة المجاورة له دلالات دينية - سياسية. وتحت قيادة الشيخ رائد صلاح، تطالب الحركة الإسلامية (الكائنة في إسرائيل) باستعادة قدسية المسجد وأهميته كمركز تعليمي ومجتمعي، وإحياء المدينة القديمة كمركز تجاري فلسطيني. علماً بأن الحركة توفر نقلاً مدعوماً للمسلمين من إسرائيل إلى القدس للزيارة. ويرى الكثير من أولئك الذين يستقلون هذه الرحلات انخراطهم في الحركة الإسلامية في سياق النظام الإسرائيلي، على أنها تمنحهم فرصة ضئيلة لتأكيد هويتهم بطرق أخرى. أما بالنسبة للشيخ رائد صلاح، فقد عززت خطة إعادة التأهيل بشكل كبير نقله السياسي كزعيم فلسطيني، ومكانته كشخصية إسلامية عالمية.

حيث تلقي القدسية بالعلمانية: مساح النزاع

لا يقتصر النشاط الديني على المواقع المقدسة فحسب، وإنما يمكن أن تجده في البيئة المادية وممارسات الحياة اليومية في المدن المتنازع عليها. وفي بعض الأحيان، يؤرق هذا الأمر الجماعات العلمانية بل ويصدمها. ويتجلى ذلك بوضوح من خلال ذلك المزيج من الولاء السياسي والهوية الدينية في العديد من جوانب ثقافة الشارع في أجزاء من القدس وبيروت وبلفاست، بما في ذلك الكتابة على الجدران والرسومات الجدارية واللافتات والسلع المعروضة للبيع والرموز الدينية على الأبنية.

وفي القدس، تُعتبر المناطق المتاخمة للمواقع المقدسة بمثابة مساح للهوية الدينية والوطنية. وفي كثير من الحالات، تشكل الأنشطة الدينية أساساً للتعبيرات القومية والتحريضية، ويمكن تمييز حدة الوتيرة السياسية في المدينة، في كثير من الأحيان، من خلال نشاط الشارع. وفي الحي الإسلامي، أصبحت منطقة طريق الواد ساحة ملتبهة، حيث يستغلها النشطاء الفلسطينيون والمستوطنون الإسرائيليون في المطالبة بالحرم الشريف/ تيمبل ماونت. وبالرغم من أن المنطقة لا تخضع لضوابط الأماكن المقدسة، إلا أن قربها منها يجعلها محورية بالنسبة لاستراتيجية كلا المعسكرين. جدير بالذكر أن منظمات المستوطنين تحاول تهويد القدس الحالية من خلال الحفريات الأثرية الاستراتيجية والأماكن السياحية. وبالرغم من ترميم المعابد والمعاهد الدينية اليهودية، التي تم التخلي عنها بسبب العنف منذ عقود، فإنه لم يتم السماح باستصلاح ماثل للممتلكات الفلسطينية في المناطق اليهودية. ومن ثم يجد الفلسطينيون المقيمون

أرثوذكسية (صربية) لأكثر من عقد من الزمان. أما في بيروت، فقد مكنت عملية إعادة إعمار منطقة وسط بيروت حيث مسجد محمد الأمين في ساحة الشهداء، ودفن الرئيس الحريري في موقع متاخم، المسلمين السنة من الاستيلاء على هذا الجزء من المدينة. وفي الخليل، كان نشاط المستوطنين في وحول الحرم الإبراهيمي / كهف البطاركة، الذي يعتبر مقدساً من قبل الأديان التوحيدية الثلاثة، بمثابة حافز لتدخل عسكري إسرائيلي أكبر. وهو ما أدى بدوره إلى دعم المستوطنين على تحقيق مزيد من الوصول إلى المكان وفرض سيطرتهم عليه. وهي حلقة مفرغة تهدد بتكرار نفسها في القدس.

في بلفاست، لا تزال كنائس المدينة ترمز إلى الفرقة الطائفية للشعب، وسط مخاوف البعض من فقدان المدينة هويتها باعتبارها "مدينة بروتستانتية". فقد أصبح سكان المدينة متوازنين بصورة متساوية تقريباً بين الطائفتين الدينيتين، بينما ازدادت حدة الفصل العمراني في مناطق الطبقة العاملة. يأتي ذلك في الوقت الذي تقبع فيه الكنائس الكاثوليكية ورجال دينها الأكثر تشدداً في الأحياء المجاورة مباشرة، مع انخفاض أعداد المنتسبين إلى الكثير من الكنائس البروتستانتية، والذي يتم تعويضه جزئياً فقط من جانب سكان الضواحي العائدين إلى محافلهم القديمة لخدمات يوم الأحد.



مسيرة مشتركة بين الطوائف في بلفاست بين طريقي فولز رود وشانكيل رود.

ففي بيروت، في أعقاب القصف الإسرائيلي المدمر على حي الضاحية الشيعي في يوليو 2006، وبتمويل من إيران، أنشأ حزب الله وكالة تنموية خاصة لإعادة إعمار الكثير من الأحياء السكنية. وبإقدامه على ذلك، فقد تمكن حزب الله من توجيه جنوب بيروت صوب الممارسات الشيعية، كما لم يقتصر على إنشاء مراكز دينية فحسب، وإنما أقام المنشآت العامة والتجارية التي تتوافق مع طقوسه الدينية. ومن ثم فقد عزز حزب الله دعمه المحلي ونفوذه السياسي، وتمكن من توسيع نطاق المقاومة الإسلامية على الصعيد الدولي. وفي القدس، ينعم المستوطنون المدفوعون دينياً، والممولون إلى حد كبير من قبل اليهود الأمريكيين، بقدر كبير من الحكم الذاتي، ويوازن منظمات الدولة في توفير الأمن والإسكان والتعليم.

أما في بلفاست، فتشارك المنظمات الدينية في كل من عمليتي إعادة إنتاج أو رآب الانقسامات. وغالباً ما تبدأ المسيرات من الكنائس، ولكنها قد تلهب النزاعات حينما تقودها مساراتها إلى حيث كنائس "الطوائف الأخرى"، كما هو الحال في مسيرة أورانج أوردرد في صيف 2012. ومع ذلك، تشارك الكنائس أيضاً في عدد



امتزاج الصورة الدينية بالسياسية؛ أصبحت بعض مباني بيروت التي دمرتها الحروب خلفية رمزية للاحتفال بالشهداء، وترسيم الحدود، وإحياء روايات طائفية بعينها. ويمكن ملاحظة علم حركة أمل مرسوماً جنباً إلى جنب مع صور موسى الصدر، المؤسس الشيعي الذي يتمتع بشخصية قوية ومؤثرة، ومصدر إلهامه رجل الدين الإيراني آية الله روح الله الخميني.

من المفهوم عموماً بأن "الحوض المقدس" في القدس، هو المنطقة الجغرافية الواقعة في مركز المدينة القديمة وتضم المنحدرات والوديان الخضراء المليئة بالنصب والآثار. يعتبر المصطلح في حد ذاته اختراعاً حديثاً، ويرمز لرؤية حاملة لمشهد توراتي. وبالرغم من التلاعب الكبير بالتطور في تلك المنطقة لغرض تقويض النمو والاستدامة الفلسطينية، فإن الصورة التي يمثلها لدى الكثيرين هي صورة عن أصالة دينية قديمة.

في المنطقة أنفسهم عرضة للاضطرابات الناجمة عن ذلك بصورة دورية.

أما في بلفاست، فتربط الطقوس الدينية بالقوميات المتنافسة، حيث تكون المطالبات في الأماكن العامة مرتبطة بالمسيرات، والاحتفالات، والجداريات والقاعات والكنائس والمقابر الخاصة بجماعة "أورانج أوردرد"، كما نجدها حاضرة في الممارسات الشخصية أيضاً مثل تعليق الميداليات على عربات الأطفال أو ارتداء قمصان كرة القدم. وهكذا، يمكن القول بأن الدين في بلفاست مرتبط بالمطالبات اليومية في الأماكن العامة، على الرغم من أنه يقل بشكل كبير في كثير من الأحيان مما هو عليه الحال في مدينة مثل القدس.

مساهمة الخدمات في دمج الإيمان في الحياة المدنية، لأغراض الخير والشر

قد تقدم المنظمات الدينية خدمات اجتماعية كبرى لشعوبها في المدن المتنازع عليها. وعادةً ما يأتي التمويل من مجتمعات الشتات أو الحكومات المتعاطفة، ما يرفع درجة الرهان مما يبدو بأنه دعم محلي بسيط إلى مستويات دولية. علماً بأن هذا التوفير له إمكانات متفاوتة؛ فحيث قد يعزز أجنداث سياسية - دينية قوية، يمكنه أن يساهم أيضاً في علاج عدم المساواة والفقر على الصعيد المحلي.

تطلق الأنشطة المجتمعية الشاملة ومبادرات إدارة النزاع الأخرى من القاعدة الشعبية، وغالباً ما يتم تسهيلها من خلال العلاقات الشخصية بين رجال الدين والجماعات الدينية ومجموعة من منظمات المجتمع المدني.

وفي جميع هذه النماذج، تعالج الجماعات الدينية وتؤثر في النزاع الحضري بصورة مباشرة، وهو ما يؤكد مدى حاجة صناعات السياسة إلى العمل مع المنظمات الدينية.

من المبادرات والمشاريع التي تسعى إلى خلق مساحة عامة مشتركة وتشجيع قدر أكبر من التماسك. كما ساهم رجال الدين الكاثوليك والبروتستانت بشكل فعال في تسهيل الحوار مع المجموعات شبه العسكرية ودعم مسيرة السلام. يشتمل مشروع سكاينوس، وهو مشروع لإعادة الإعمار في شرق بلفاست تقوده الكنيسة الميثودية، على مساحة للعبادة الميثودية، ولكنه يدعم أيضاً أنشطة سكنية وأنشطة تجارية مختلطة ومشتركة. وهناك خطط أيضاً لإنشاء كنيسة غير طائفية على متن قارب في عرض البحر في حي نيتانيك الجديد.

قراءات أخرى

- Baillie, B. (2013) Capturing facades: structural violence and the (re)construction Vukovar's churches. *Space and Polity*, 17(3).
- Dumper, M. (2010) The role of Awqaf in protecting the Islamic heritage of Jerusalem, 1967-2010. In E. Diab (ed) *Hamam Al Ayn / Hamam Al Hana': Essays and memories in celebration of a historic public bath house in Jerusalem's old Arab city*. Jerusalem: Al-Quds University.
- Dumper, M. (2013) Security and the Holy Places of Jerusalem: The 'Hebronisation' of the Old City and Adjacent Areas. In W. Pullan & B. Baillie (eds.) *Locating Urban Conflicts: Nationalism, Ethnicity, and the Everyday*. Palgrave Macmillan.
- Dumper, M. (ed.) (2019). *Contested Holy Cities: The Urban Dimension of Religious Conflict*, London, Routledge.
- Dumper, M., (2019). The Study of Religious Conflicts in Cities, in Dumper, M. (ed.) *Contested Holy Cities: The Urban Dimension of Religious Conflict*, London, Routledge.
- Dumper, M. (2019). *Power, Piety and People: Holy Cities in the 21st Century*, New York: Columbia University Press.
- Larkin, C. and Dumper, M. (2012) In Defence of Al-Aqsa: The Islamic Movement inside Israel and the Battle for Jerusalem. *Middle East Journal*, 66(1), pp.30-51.
- O'Connor, K. (2017). What are the ideas and motivations of bureaucrats within a religiously contested society? *International Review of Administrative Sciences* 83(1), pp.63-84.
- O'Dowd, L. and McKnight, M (eds) [2013] *Space and Polity Special Issue: Religion, Violence, and Cities*, 17(3).
- O'Dowd, L. and McKnight, M. (2013) Urban Intersections: Religion and Violence in Belfast. *Space and Polity*, 17(3).
- O'Dowd, L. and McKnight, M. (eds.) (2015). *Religion, Violence and Cities*, London: Routledge.
- Pullan, W. (2013) At the boundaries of the sacred: The reinvention of everyday life in Jerusalem's al-Wad Street. In E. Barkan and K. Barkey (eds) *Choreographing the Sacred*. New York: Columbia University Press.
- Pullan, W. (2013) Bible and Gun: The militarisation of Jerusalem's holy sites. *Space and Polity*, 17(3).
- Pullan, W. and Sternberg, M. (2012) The Making of Jerusalem's Holy Basin. *Planning Perspectives: An International Journal of History, Planning and the Environment*, 27(2), pp.219-42.
- Pullan, W., Sternberg, M., Larkin, C., Dumper, M. and Kyriacou, L. (2013). *The Struggle for Jerusalem's Holy Places*. London and New York: Routledge
- Pullan, W. (2013). Bible and Gun: Militarism in Jerusalem's Holy Places, *Space and Polity* 17.3, 335-56; reprinted in O'Dowd, L. and McKnight, M. (eds) (2015). *Religion, Violence and Cities*, London: Routledge, pp.75-96.
- Pullan, W. (2015). At the Boundaries of the Sacred. The reinvention of everyday life in Jerusalem's Muslim Quarter, in Barkan, E. and Barkey, K. (eds.) *Choreographies of Shared Sacred Sites*, New York: Columbia University Press, pp.163-98.

الباحثون

دكتورة بريت بايلي، كامبريدج
دكتورة أنيتا باكشي، كامبريدج
ناديرا كاراكي - باتل، كامبريدج
ليفكوس كريك، كامبريدج
دكتورة ميلينا كوماروفا، كامبريدج
رزان مخلوف، إكستر
دكتورة مارتينا ماكنيث، كامبريدج

طلاب الدكتوراه

جوليا كارابيلي، كامبريدج
مونیکا هالكرت، كامبريدج
كونستانتين كاستريسيانكيس، كامبريدج
ليندا روتام، كامبريدج
كيلسي شاتكن، إكستر

المحققون

دكتورة ويندي بولان، كامبريدج
بروفسور جيمس أندرسون، كوينز بلفاست
بروفسور ميك دمير، إكستر
بروفسور ليام أودود، كوينز بلفاست

الشركاء

دكتورة كاتي هايورد، كوينز بلفاست
دكتور كريج لاركن، كلية كينجز لندن
بروفسورة ماديلين ليونارد، كوينز بلفاست
دكتور رامي نصر الله، مركز التعاون والسلام الدولي، القدس
دكتور كارل أوكونور، ليمريك
دكتورة ليزا سميث، كوينز بلفاست
دكتور ماكسيميلان شتيرنبرج، كامبريدج
دكتور بيب والاش، كلية الدراسات الشرقية والإفريقية
دكتور جايم ياكوبي، جامعة بن جوربون

يستعرض بحث "النزاع في المدن والدول المتنازع عليها" الكيفية التي تشكلت بها المدن في أوروبا والشرق الأوسط نتيجة للنزاعات العرقية والدينية والقومية، مع الإشارة بشكل خاص إلى العمارة والمناطق الحضرية كإطار للأنشطة والأحداث اليومية. ويعني البحث بقدرته المدن على امتصاص النزاع ومقاومته وربما لعب دور فعال في إحداث تحول جذري به. علماً بأن أماكن البحث الرئيسية هي مدينتا بلفاست والقدس، بالإضافة إلى استييان تكميلي للمدن الأخرى المقسمة مثل برلين وبيروت وبروكسل وكركوك وموستار ونيقوسيا وطرابلس (لبنان) وفوكوفار. وتتولى إدارة هذا المشروع متعدد التخصصات ثلاث جامعات بريطانية هي جامعة كامبريدج وإكستر وكوينز بلفاست، بالتعاون مع شبكة دولية من الشركاء. كما يتم تمويل البحث عن طريق برنامج المنح الكبرى الصادر عن مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية للمملكة المتحدة (RES-060-25-0015)

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لصالح النزاع في المدن، نوفمبر 2012، تم تحديثها من قبل مركز بحوث النزاعات الحضرية، 2019. مع جريل الشكر لشركة اوف اروب اند بارتنرز انترناشيونال لتد لندن لما قدمته من دعم قامت بأعمال الترجمة شركة لانجسيبر.

www.urbanconflicts.arct.cam.ac.uk

تقدم هذه المادة مجاناً للاستخدام الشخصي وغير التجاري، شريطة الإشارة إلى المصدر. كما يتعين الحصول على تصريح كتابي مسبق من مسؤولي "النزاع في المدن"، بشأن الاستخدامات التجارية أو أي استخدام آخر. ولا يجوز بأي حال من الأحوال تعديل هذه المادة العلمية أو بيعها أو تأجيرها.